دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | المطالعة المجدية والثقافة المكتبية |
| المصدر: | رسالة المعلم |
| الناشر: | وزارة التربية والتعليم - إدارة التخطيط والبحث التربوي |
| المؤلف الرئيسي: | إبراهيم، محمود |
| المجلد/العدد: | مج 12, ع 1 |
| محكمة: | لا |
| التاريخ الميلادي: | 1968 |
| الشهر: | أيلول - تشرين الأول |
| الصفحات: | 10 - 15 |
| رقم MD: | 76635 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| قواعد المعلومات: | EduSearch |
| مواضيع: | الثقافة، مجتمع المعرفة، المكتبات، خدمات المكتبات، الوراقة، الوراقون، مهارات القراءة، المطالعة، التنمية الثقافية، الانتاج الفكري، خدمات المعلومات، العالم العربي، وسائل المواصلات |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/76635 |

© 2020 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

# المطالعة المجدية
## والثقافة المكتبية

بقلم : الدكتور محمود ابراهيم

« لقد اصبح الكتاب المطبوع امرا مألوفا في حياتنا اليومية ، وألفة الشيء تفقده عنصر الاثارة ، ولذا فاننا لانستثار اليوم لرؤية الصحيفة اليومية والمجلة الدورية والكتاب المطبوع ، حين يطبع منها الوف النسخ او عشرات الالوف ومئاتها ، وتصل في وقت واحد ، الى مثل هذا العدد من الايدى البشرية . . » .

### تجارب الاخرين :

ان اول ما اود ان اذكره ان الفائدة التي تحصل عليها من قراءة الكتب ، هي فائدة تكتسب عن طريق التعرف على تجارب الآخرين ، وهي بذلك ادنى مرتبة من الفائدة التي نكتسبها عن طريق تجاربنا الشخصية ، لان الفائدة التي يكتسبها الانسان عن طريق الممارسة والمعاناة الذاتية ، تكون اعمق اثرا واطول مدى من فائدة تكتسب عن طريق تجارب الاخرين . غير ان التعلم عن طريق التجربة الشخصية وحدها امر متعذر لسببين : اولهما انه لايمكن لاي كائن بشرى ان يحيط بكل تجارب الحياة عن طريق الممارسة الشخصية ، لان العمر اقصر من ان يتيح للانسان الانفساح الكافي لكل هذه التجارب . وثانيهما ان من تجارب الحياة ما يؤلم كثيرا ، بل وما لايمكن احتماله ، وقد يتأتى عنه انقطاع حبل الحياة نفسها ، وتعذر الدخول بعده في تجارب اخرى . وهنالك الكثير من الصدق في قول احد كبار الساسة الالمان في القرن التاسع عشر : « ان الغبي وحده هو الذي لايتعلم الا من تجاربه » .

فاذا ما سلمنا اذن بضرورة الاستفادة من تجارب الاخرين فان من الواضح ان التعرف على هذه التجارب ، يكون اما عن طريق الاتصال المباشر بمن مارسوها ، او عن طريق غير

مباشر ، حين تصل الينا هذه التجارب بالنقل الشفهي المتسلسل ما بين اصحابها ومن نقلوها الينا ، او بكلمات روت قصة هذه التجارب في صفحات الكتب .

ويقودني ذلك الى استرجاع موقف مثقفي العرب الاوائل من المعلـــومات التي كانت تستقى من الكتب ، وهو موقف يدعو الى الاعجاب والتأمل في آن واحد . فقد كان هؤلاء المثقفون في فجر العلم الاسلامي ، يرون ان العلم الموثوق الصحيح هو الذي يؤخذ مباشرة عن صاحبه . فاذا ما ضمن هذا العلم في كتاب ، كان من الضروري ان تقرأ مادة الكتاب مباشرة على من وضعه ، حتى يكـــون من حق من تلقاه عنه ان يعلم مادته للآخرين . واذا ما تعذر الاتصال بصاحب الكتاب بسبب بعد زماني او مكاني ، كان هؤلاء المثقفون يصرون على ان تؤخذ مادة الكتاب اخذ تسلسل عن انسان مجاز بتدريس مادته ، عن اخر من قبله مجاز بتدريس المادة كذلك ، الى ان ينتهي التسلسل والاجازة الاولى الى صاحب الكتاب نفسه .

اما قراءة الكتاب على النفس دون الاعتماد على استاذ مجاز بتدريس مادته ، فقد كان يعتبر ضربا من الثقافة الناقصة غير الموثوقة ، بل وتستوجب التهمة كذلك ، كما هو واضح من اتهام ( النوبختي ) لابي الفرج الاصبهاني بانه استقى مادة كتابه الشهير «الاغاني» من دكاكين الوراقين ( اصحاب المكتبات التجارية ) ، بدلا من ان يرحل في طلب المادة لاخذها من افواه العلماء مباشرة . وقد كانوا يطلقون على الذي يستقي معلـــوماته من الصحف المكتوبة دون لقاء العلماء اسم ( صحفي ) ، وهو ضرب من الاستخفاف العلمي . ومن هنا نستطيع ان نتفهم اعتزاز رجل كابي بكر الصولي ، من رجال القرن الرابع الهجرى ، حين افتخر بانه يملك حجرة مليئة بالكتب ، سمع مادتها كلها على مؤلفيها ! !

## الوراقه والوراقون :

لقد اصبح الكتاب المطبوع امرا مألوفا في حياتنا اليومية ، وألفة الشيء تفقده عنصر الاثارة ، ولذا فاننا لانستثار اليوم لرؤية الصحيفة اليومية والمجلة الدورية والكتاب المطبوع ، حين يطبع منها الوف النسخ او عشرات الالوف ومئاتها ، وتصل في وقت واحد الى مثل هذا العدد من الايدي البشرية . ونحن الان لانفكر في الفترة الطويلة التي انقضت من تاريخ الانسان المتحضر ، وهو يعتمد على اليد الانسانية المجردة ، لتدوين افكاره ، بما كان يترتب على ذلك من ضيق الدائرة التي كان الكتاب المنسوخ يتداول فيها ، مما جعله قصرا على نفر من المحظوظين من الناس .

وغني عن البيان ، ان عملية نسخ الكتب ، خاصة اذا كانت هذه الكتب كبيرة الحجم، كانت عملية بطيئة مرهقة . وقد كان يطلق على صناعة نسخ الكتب ونقلها في الشرق الاسلامي اسم : ( الوراقة ) والذين يتولونها هم ( الوراقون ) . وبوسعنا ان ناخـــذ فكرة عن الجهد المضني الذي كانت تستلزمه هـــذه الصناعة ، اذا ما قرأنا شكاوى الكاتب الكـــبير ابي حيان التوحيدي ، الذي اضطره نكد طالعه في فترة من فـــترات عمره في اكتساب رزقه من نسخ الكتب، واذا ما تدبرنا قصة طريفة يرويها ياقوت الحموي في معجمه عن وراق رأى في المنام انه قد توفي وامر به الى الجنة ، فما كان منه الا ان تمدد في استرخاء مريح وقال : الحمد لله ، لقد استرحنا من الوراقة ! !

## الكتب والمكتبة :

تعرضت للكتاب المطبوع هذا التعرض الموجز اللماح ، لما بين الطباعة وشيوع الكتب على انواعها من علاقة ظاهرة ، وما يتركه هذا الشيوع على انسان العصر من اثر ، فمن المعروف ان المادة المطبوعة قد اخذت الآن تصل الى كل بيت تقريبا ، ولا تقتصر على فئة محدودة ، كما كان الامر بالنسبة للمادة المكتوبة قبل ان يعرف الانسان الطباعة . وغير خاف ما لهذا من اثر على افكار الناس واتجاهاتهم . اذ يجدر بنا ان نتذكر ان الكلمة المطبوعة بالنسبة للكثيرين، ذات اثر لايقاوم . وكل منا بلا شك يذكر كيف انه في وقت مبكر من حياته كان يرى في الكلمات المطبوعة حقائق ثابتة لا يأتيها الباطل من خلفها ولا من بين يديها . ولأمر ما يحرص اليهود في اوروبا واميركا على ان يكون لهم دور كبير في دور النشر واجهزة الاعلام المختلفة، اذ انهم قد استطاعوا بوساطتها التسلط على افكار الناس وعقولهم ، وتحديد ميولهم واتجاهاتهم . وقد يدهش القراء اذ يعلمون ان نسبة كبيرة في المجتمع الغربي في اوروبا واميركا لايفكرون لانفسهم تفكيرا مستقلا في القضايا العامـــة ، بل يعتمدون على الصحف ووسائـــل الاعلام الاخرى للتفكير نيابة عنهم . وما اخطر هذا الامر في البلدان ذات الطابع الديموقراطي التي تحاول الحكومات فيها ان تكون صدى لجماهير الشعب . .

ومن المعروف ان التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي شهدها العالم خلال القرنين الاخيرين ، قد ترتب عليها ان اصبح الرجل العادى يشارك في تسيير الامور في بلده ومجتمعه ، اذ لم يعد تسيير هذه الامور وقفا على نفر معين من الناس يحتكر افراده كل شيء لانفسهم . وبازدياد مشاركة الانسان العادي في تصريف شؤون مجتمعه ، ازدادت حاجته الى الثقافـــة والتوعية . ومن هنا ازدادت الحاجة الى الكتاب والمكتبة ، تدعم بهما الثقافة المدرسية وتستكمل ، اذ ان حظ الناس من الثقافـــة المدرسية المنتظمة متفاوت ، وكثيراً ما تكون ثقافة ناقصة تستدعي الزيادة .

وهذا التطلع الى الكتاب من اجل اكتساب الثقافة ، او لزيادة الثقافة المكتسبة ، قد تطور مع مرور الايام ، حتى كاد يصبح اتجاها عاما ، لا في البلدان التي نسميها متقدمة فحسب ، بل وفي عدد من البلدان النامية كذلك ، خاصة في تلك التي تبذل خطوات جادة لازالة امية الكبار فيها . ومعنى ذلك ان الاتجاه الى الكتاب اصبح يتخذ صفة الشمول ولا ينحصر في طبقة او مهنة معينة . ويترتب على ذلك بصورة تلقائية ازدياد اهمية الدور الذي تلعبه المكتبة في المجتمع الحديث .

**قافلة المعرفة :**

والالماح الى التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي شهدها عالمنا الحديث ، يسوقنا الى الحديث عن الثورة المعرفية التي تفجرت في هذا العصر ، وهي ثورة لم تشهد الانسانية لها مثيلا في تاريخها الطويل . وهذه الثورة لاتتناول فرعا من فروع المعرفة دون الفروع الاخرى ، بل تشمل فروع المعرفة الانسانية كافة ، والتسارع الذي يجري في معارف الانسان الحديث ، هو تسارع لم تعرفه الانسانية من قبل كذلك . وينبني على ذلك ببساطة انه اذا ما وقف انسان العصر بمعلوماته عند حد معين ، دون ان يعمل على تطويرها فانه سيجد نفسه بعد فترة قصيرة جدا ، قد اصبح عتيقا في معلوماته ومعارفه ، واصبحت ثقافته غير مسايرة للزمن . وهذا القول ينطبق على المثقف ثقافة تخصصية في اى فرع من فروع المعرفة ، وعلى انسان النصف الثاني من القرن العشرين بصورة عامة . فالمنجزات العلمية الهائلة في كل فن وعلم ، لم تبق مجالا للاختيار امام هذا الانسان ، فاما ان يسير مع ركب المعرفة ، او يجد نفسه متخلفا عن الركب ، والناس قد سبقوه اشواطا . وينبني على ذلك ان الانسان المعاصر ، اصبح لايستغني عن المطالعة المستمرة ، سواء منها ما كان في فنه الذي تخصص به ، ام في الشؤون العامة . وبرغم اننا لايمكن ان نأخذ اخذا حرفيا بالعبارة القائلة : « ان الانسان المثقف هو الذي يعرف شيئا عن كل شيء ، وكل شيء عن احد الاشياء » ، الا ان لهذه العبارة مع ذلك دلالتها التي لاتخفى . وسبيل الانسان المثقف الى الاقتراب من الحد المضمن في هذا التعريف هو المطالعة والمتابعة المستمرتان . ولا مكان في وقتنا هذا للطبيب والمهندس والصيدلي واستاذ الجامعة ومعلم المدرسة ، الذى يتصور ان ثقافته قد وصلت الغاية النهائية التي ليس بعدها زيادة لمستزيد ، بتخرجه من المؤسسة الثقافية التي درس فيها . واذا كان هذا ينطبق بصورة عامة على المثقفين ، فانه ينطبق بصورة خاصة على المشتغلين بصناعة التعليم في مختلف مستويات التعليم ومراحله . وما اتعس الاستاذ الجامعي او المدرس الثانوي او المعلم الابتدائي ، حين يتبين ان طالبا له قد سبقه الى اكتساب الجديد من المعلومات في المادة التي يدرسها ! !

واذا كانت كل العوامل المحيطة بالانسان الحديث تدعو هـذا الانسان الى أن يقرأ ويطالع باستمرار، فانه ينبغي التنبيه الى ان القراءة التي يجب ان تمارس ، لاتكون قراءة نافعة الا اذا كانت قراءة متبصرة هادفة . والمقصود بالقراءة النافعة تلك التي تمكّن صاحبها من استيعاب العبارة المكتوبة استيعابا فكريا ، بحيث يتمثّل ما تحتويه من مضمون ويتفاعل معه عن طريق تحليله الذهني. انها اذن قراءة تتجاوز مجرد القدرة على التلفظ بالكلمات وفهم مدلولها اللغـوي ، الى القدرة العملية على الاستفادة من مضمونها وفحواها . وقد يتساءل المتسائلون : وهل يمكن ان يتفهم القارىء المدلول اللغوي للكلمات دون ان يتفاعل معها ذهنيا ، ويستفيد من مضمونها وفحواها؟والجواب على هذا التساؤل يتضح في أن الكثيرين من مواطنينا الذين تكون المـادة المتكوبة بين ايديهم وهم يقرأونها ويفهمون دلالتها اللغوية لا يستطيعون التصرف عمليا بهدي من الكلمات التي قرئت ! وكم من هؤلاء المواطنين يكون في يده دليل للاماكن الهامة في بلد ما، وخاصة اذا كان البلد أجنبياً ، او جدول يبين مواعيد الطائرات او القطارات او تخطيط يحـدد معالم مدينة من المدن وشوارعها : وهو مع ذلك لايفتأ يسأل ويتساءل عن المعلومات المضمنة في الأوراق التي بين يديه ، لانه لم يستوعب الكلمات المكتوبة فيها ذهنيا ، في حين نرى ان السائح الاجنبي الذي درب منذ الصغر على القراءة الذهنية المتمعنة والاستفادة من المادة المكتوبة ، يستغني بخرائطه وجداوله والمطبوعات المرشدة التي بين يديه وبقراءة اللافتات المختلفة . يستغني بذلك كله عن الكثير من التساؤلات، ونراه يسير في مدننـا وطرقنا وهو الغريب عنها ، وكأنه قديم عهد بها كلها . ولعل قيمة الانسان الذي يقرأ فيفهم فيتفاعل عمليا مع المادة المقرؤة ، تظهر اكثر ما تظهر في السكرتير او السكرتيرة الذكية الفهمة ، التي توفر على من تعمل معـه من الجهد والوقت ، ويغنيه ذكاؤهـا المسعف عن الكثير من الاعمال التفصيلية الروتينية ، فضلا عما يترتب على تنسيق العمل ومعالجة فطنة ، من سير العمل في يسر وسهولة ، ومن علاقات طيبة مع من يجرى التعامل معهم .

وارجو ان انبه هنا، الى انه اذا لم يتعود المواطن العادي على هذه القراءة المستوعبة التي تتغلغل في السطور وتدرك ما وراء الكلمات ، فان هناك دائما خطرا من ان تضلله العبارات المزوقة التي يحسن نفر من الساسة والمشتغلين في القضايا العامـة صياغتها وتقديمها للناس ، للحوز على ثقتهم ، خاصة في زمن اصبح فيه للمواطن العادي كما ألمحنا ، دور في انتخاب هؤلاء الساسة والعاملين في حقل المصالح العامة . وكل منا يدرك ان امورا كهذه قد جرت

وما تزال تجرى في اقطار الوطن العربي، حيث يتقبل الكثيرون من المواطنين الطيبين في هذه الاقطار البيانات السياسية او الانتخابية التي اعدت بعناية لكي تؤثر في المواطنين ، ولايمكن ان ينقذهم من امثالها الا المقدرة على قراءة ما وراء الكلمات وما يمكن ان تعنيه عمليا ، دون الاكتفاء بمدلولاتها اللغوية الضخمة المثيرة .

## ثورة المواصلات :

ولعل من العوامل التي تساعد القارىء على توسيع دائرته الفكرية والانطلاق الى آفاق ذهنية ارحب فيما يطالعه ، ان لايقتصر في مطالعتـــه على ما كتب بلغته القومية ، اذا كان يستطيع المطالعة بلغة اجنبية . ولست اعني هنا السعي الى زيادة المحصول اللغوي او التكمن من اللغة الاجنبية — برغم ما فى ذلك كله من فائدة — وانما اقصد ان يتعود الانسان القارىء على طريقة جديـــدة في التفكير مغايرة لطريقته وطريقة بني قومه ، لان اللغة في مفهوم كل علماء اللغات ، لاتمثل مجرد اصوات وحروف ، بل هي تمثل كذلك نمطا خاصا من التفكير ، منذ كانت كل امـــة من الامم تتفاعل مع لغتها بان تتاثر بها وتؤثر فيها . ومن هنا كان لتعبير كهذا (He thinks in English) دلالته الحقيقية .

ولما كنا نعيش في عالم قاربت ما بين اقطاره ثورة المواصلات الحديثة بشكل لم يعهد له مثيل، فان من الضرورى ان نتعرف على طرق تفكير الآخرين، حتى نعرف كيف نتعامل معهم ونخاطبهم باللغة الفكريـــة التي يفهمونها . وكم قـــد سمعنا من الاجـــانب المثقفين ، اننا نحن العرب ، كنا نخاطب الغربيين فيما يتعلق بقضية فلسطين ، بلغة لا يفهمونهـــا — لا على اساس ان العرب الذين خاطبوهم لم يكونوا يحسنون الحديث بلغاتهم ، بـــل على اساس ان القوالب الفكرية التي استعملت للتفاهم معهم والحديث اليهم — كانت قوالب غريبة عليهم ولا تسوغ لهم . في حين كانت لليهود ميزة واضحة من هذه الناحية علينـــا ، اذ كانت كل جالية يهودية في اي من البلدان الغربية ، تخاطب اهل البلاد باللغة التى يفهمونها ، بحكم كون هذة الجالية ، جزءا من المجموع السكاني في البلد المعني ، فهي لذلك تلم بشؤونـــه واحواله وطرائق تفكيره .

الجامعة الاردنية : الدكتور محمود ابراهيم